

## تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال : { إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنَا \* } وجعلها كلمة باقية في عقبه أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي لا إله إلا الله أى جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه تعالى من ذرية إبراهيم عليهما السلام { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } أى إليها .

قال عكرمة ومجاحد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله **D** : { وجعلها كلمة باقية في عقبه } يعني لا إله إلا الله لا يزال في ذريته من يقولها وروي نحوه عن ابن عباس **B**هما وقال ابن زيد : كلمة الإسلام وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة ثم قال جل وعلا : { بل متعت هؤلاء } يعني المشركين { وآباءهم } أى فتطاول عليهم العمر في ضلالهم { حتى جاءهم الحق ورسول مبين } أى بين الرسالة والنذارة { ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإننا به كافرون } أى كما بروه وعandوه ودفعوا بالتصور والراح كفرا وحسدا وبغيها { وقالوا } أى كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وتقديره { لولا نزل هذا القرآن على رجل من القرتيين عظيم } أى هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القرتيين ؟ يعنون مكة والطائف قاله ابن عباس **B**هما وعكرمة ومحمد بن كعب القرطي وقتادة والسدي وابن زيد وقد ذكر غير واحد منهم أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدي : يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي وعن مجاهد : يعنون عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي وعنهم أيضا أنهم يعنون عتبة بن ربيعة وعن ابن عباس بن عمرو بن وحبيب المغيرة بن الوليد يعنون أنهم هما **B** عنه قريش جباره من جبارا : هما **B** عمير الثقفي وعن مجاهد : يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد ياليل بالطائف وقال السدي : عنوا بذلك الوليد بن المغيرة وكنانة بن عمرو بن عمير الثقفي والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدين كان قال الله تبارك وتعالى رادا عليهم في هذا الإعتراض { أهم يقسمون رحمة ربكم ؟ } أى ليس الأمر مردودا إليهم بل إلى الله **D** وأعلم حيث يجعل رسالته فإنها لا ينزلها إلا على أركى الخلق قلبا ونفسا وأشرفهم بيته وأظهرهم أصلا .

ثم قال **D** مبينا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال : { نَحْنُ قَسْمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا } الآية وقوله جلت عظمته : { لِيَتَخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيَا } قيل معناه ليُسرّ بعضهم

بعضا في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا وهذا قاله السدي وغيره وقال قتادة والضحاك  
ليملك بعضهم بعضا وهو راجع إلى الأول : ثم قال ٤ : { ورحمة ربكم خير مما يجمعون } أي  
رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا ثم قال سبحانه  
وتعالى : { ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة } أي لو لا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن  
إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناهم فيجتمعوا على الكفر لأجل المال هذا معنى قول  
ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم { لجعلنا لمن يكرر بال الرحمن لبيوتهم سقفا من فضة  
ومعاج } أي سلام ودرجا من فضة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم {  
عليها يظهرون } أي يصعدون ولبيوتهم أبواباً أي أغلاقاً على أبوابهم { وسرراً عليها يتکئون  
} أي جميع ذلك يكون فضة { وزخرفا } أي وذهبها قاله ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد .  
ثم قال تبارك وتعالى : { وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا } أي إنما ذلك من  
الدنيا الفانية الزائلة الحقيقة عند الله تعالى أي يجعل لهم بحسناهم التي يعملونها في  
الدنيا مأكل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما  
ورد به الحديث الصحيح وورد في حديث آخر [ لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقي  
منها كافرا شربة ماء ] أسنده البغوي من رواية زكريا بن منظور عن أبي حازم عن سهل بن  
سعد به عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه الطبراني من طريق زمعة بن صالح عن أبي  
حازم عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم [ لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما  
أعطي كافرا منها شيئاً ] ثم قال سبحانه وتعالى : { والآخرة عند ربكم للمتقين } أي هي لهم  
خاصة لا يشاركون فيها أحد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب به للرسول صلى الله عليه  
 وسلم حين صعد إليه في تلك المشربة لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه فرأه على رمال  
حصير قد أثر بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال : يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما  
فيه وأنت صفوه الله من خلقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكتئاً فجلس وقال : [ أو في  
شاك أنت يا ابن الخطاب ؟ ثم قال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في  
حياتهم الدنيا ] وفي رواية [ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ] وفي الصحيحين  
أيضاً وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا  
تأكلوا في صاحفها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة ] وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا  
لحرارتهم كما روى الترمذى وابن ماجه من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم [ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقي منها كافرا شربة  
ماء أبداً ] قال الترمذى : حسن صحيح